سلسلة حضارتنا المصرية المعجزة





محمد يونس هاشم



دار نوبل للنشر والتزيع

جرافيك/يوسف محمد حسين







اسم المؤلف	هاشم ، محمد يونس
اسم الكتاب	سلسلة حضارتنا المصريةالمعجزة
الجـرافيـك	يوسف محمد حسين
دار النشـــر	دار نوبل للنشر والتوزيع

فهرسة أثناء العمل

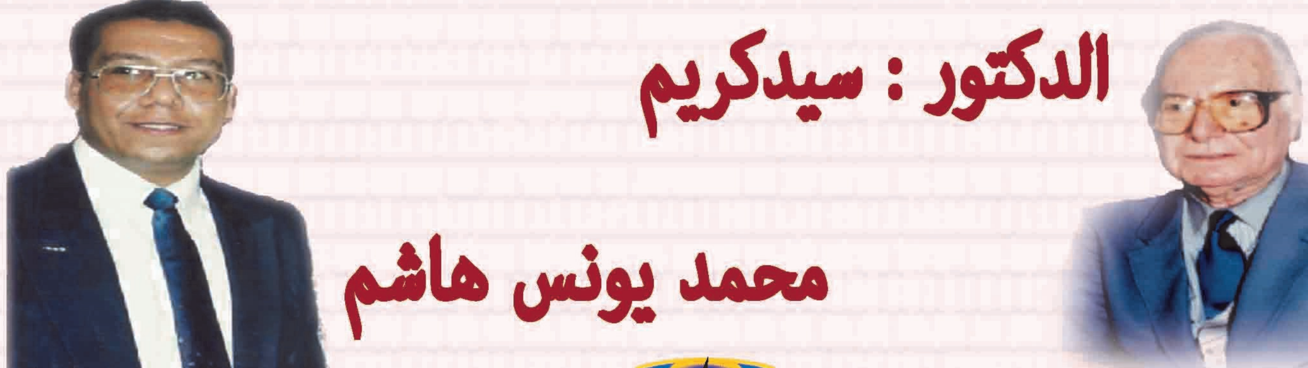
رقم الإيداع	١٥٦١١
العنـــوان	٩٠٠
الصفحـات	١٦ ص - ٢٤ x ٢٤ سم





الثُّلاثَاءُ ١١ يُولْيُو ٢٠٠٠ وَفِي صَالُون د. سَيِدِ كَرِيم كَانَ هَـٰذَا اللِّقَاءُ . رَحَّبَ د. سَـيدُ بِالْحُضُورِ ثُمَ قَـالَ: إِنَّ مَا تَوَصَّلْتُ إِلِيهِ أَنَا وَ د. سَـلِيمُ حَسـنِ وَغيرُنَا مِـنْ حَقَائِقَ دِينِيـةٍ عَنْ الْحَضَـارَةِ الْمَصْرِيّـةِ كَانَتْ تُقَابَـلُ دَائِماً بِالرَّفْضِ مِـنْ الْمُسْـلِمِين الْمُتَدينِـين، وَالْحَقِيقَةُ كُنْتُ لا أَسْـتَطِيعُ أَنْ أُثْبِتَ لَهم بِالأَدِلَةِ الدِّينِية الإِسْلامِيّةِ كَثِيرًا مِـنْ الْحَقَائِقِ حَتَـىٰ تَقَابَلَتْ مَـعَ اَلأَسْـتَاذِ يُونِسِ وَاَلْحَمْـدُ لله اِقْتَنعَ بِمَـا تَوَصَّلْتُ إِلِيهِ فَـرَاحَ يَبْحَثُ فِي الدِّينِ وَهَو بَاحثٌ إِسْـلامِيٌّ بَلْ أَنَـا أُعِدذَهُ مِنْ عُلَـمَاءِ الدِّين الْمُسْـتَنِيرِين حَتَىٰ اِسْـتَطَاعَ أَنْ يُثْبِتَ بِالأدِلَـةِ الدِّينِيةِ مَـا تَوَصَّلْتُ أَنَا إِلِيـهِ بِالأدِلَـةِ اَلأَثَرِيّـةِ، وَاَلآنَ أَدْعُو اَلأَسْـتَاذَ يُونِسَ لِيُجِيبَكم عَمَّا تَسْأَلُون عَنْه.

- مُحَدّثكُم مُحَمدُ يُونس أشْرُف بأَنْ أنْتَسِب لِدُعَاةِ الإسْلام وَالْعملِ فِي حَقلِ الدَّعوَةِ خَطِيباً فِي الْمَسَاجِد،وَمُحَاضِراً فِي النَّدواتِ، وَبَاحِثاً فِي الْحَضَارَةِ الْمصْرِيّةِ.لاحَظْتُ أَنَّ عُلَماءَ الْمصْرِيَّاتِ يُحَاوِلُون تَفْسِيرَ الْحَضَارَةِ الْمَصْرِيَّةِ الْقَدِيمَةِ وَمُنْجزَاتِها تفَسِيراً عَلْمَانِيّاً، عَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ اِعْتِرَافِهم أَنَّهَا حَضَارَةٌ دِينِيةٌ إلا أَنَّهم لَمْ يُحَاوِلُوا أَنْ يُفَسْرُوهَا فِي ضُوءِ الدِّيَانَات السَّمَاوِيَّةِ خَاصَةً الدِّين الإسْلامِيّ خَاتِم الرِّسَالاتِ السَّمَاوِيَّةِ، وَإِذَا كَانَ لِلْعُلَمَاءِ الْغَرْبِيين عُذْرُهم فِي ذَّلِك بِحُكْمِ جَهْلِهم بالدِّينِ الإِسْلامِي فَمَا عُذْرُ عُلَمَاءِ الْمصرِيَّاتِ الْمُسْلِمين؟!





وَشَاءَ اللهُ أَنْ أَسْتمعَ لِبَعْضِ مُحاضَرَاتِ د. سَيدِ كَرِيمِ، وَأَقْرأُ لَه بَعْض مَا كُتِبَ عَنْ الْحَضَارَةِ الْمصرِيَّةِ الْقَدِيمَةِ. فِي الْبِدايَةِ نَزِلَ كَلامُهُ عَليَّ كَالصَّاعِقَةِ؛ فَقَدْ زرَعَ بُذُورَ الشَّكِ فِي مُسلَّماتٍ دِينيةٍ عَنْ الْحَضارَةِ الْمَصرِيّةِ فَرُحْتُ أَبْحَثُ وَأَثْنَاء الْبَحْث قَرأْتُ كِتَابَ د. نَدِيم السَّيَّار" قُدَماءُ الْمَصْرِيينَ أَوَلُ الْمُوَحْدِينَ" وَبَدَأْتُ أُعِيدَ قِراءَةَ مَا كَتَبَهُ عُلَمَاءُ الْمصْرِيَّاتِ عَنْ الْحَضَارَةِ الْمَصْرِيَّةِ بِرُؤْيَّةٍ إِسْلامِيَّةٍ، وَالْحَمْدُ للهِ أَنِّي تَوَصَّلْتُ إِلَىٰ عِدَّةِ نَتَائِجَ مُهِمَّةٍ تُؤَكّدُ أَنَّ الْعَقِيدَةَ الْمَصرِيّةَ الْقَدِيمَةَ وَالْعَقِيدَةَ الإِسْلامِيّةَ يَخْرجَانِ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدةٍ، وَالَّذِي بَاعَدَ بَينهما هُو سُوءُ قِراءَةٍ وَتَرجَمَةٍ وَدِراسَةِ نُصُوصٍ وَآثَارِ الْحَضَارَةِ الْمَصْرِيَةِ الْقَدِيمَةِ .

وَأَسْتَأذِنُكم أَنْ أَذكِّرَ بِأَهم النَّظَرِيَّاتِ التِّي تُفَسِرُ نَشأَةَ الْحَضَارَةِ الْمَصرِيّةِ

كَانَــتْ الْقَبَائِــلُ الْبِدَائِيّةُ تَعْتَقِــدُ أَنَّ الطَّبِيعَةَ "مَسْــكُونَة" بِقُــوَىٰ وَأَرْوَاحٍ وَاعْتَقَــدَ هَؤلاء الأَقْــوَامُ بَأَنَّهم يُمكِنُ أَنْ يُسْــيطِرُوا عَلَىٰ هَــٰذِهِ الْقُوَىٰ مِنْ خِــلالِ أَعْمَالِ السِّــحْرِ وَلِهَذَا لَــمْ يَكُنْ المَلِــك فِي عُصُورِ الْملكيــات الْوَثَنِيةِ وَاضِعــاً لِلْقَانُــون فَحَسْــب بَــلْ كَانَ فِي نَظَرِ الرَّعِيَّةِ، مَسْــئُولاً عَــنْ تَوفِيرِ الرَّخَاءِ الْــمَادِي فِي مَملَكَتِهِ، فَــكَانَ مُلُوكُ مصْرَ عَلَىٰ سَــبِيلِ الْمِثَالِ يَضْمَنُون شُرُوقَ الشَّــمْسِ وَفَيضَانَ النَّيلِ عَنْ طَرِيقِ مُمَارَسَــتِهم لِطُقُوسٍ سِــحْرِيَّةٍ لا يُمكِنُ لأَحْدٍ أَنْ يُمَارِسَــها سُــوَاهِم، وَمِنْ الطَّبِيعِي -بِنَاءً عَلَىٰ ذَلِــك- أَنْ يُصْبِحَ الْمَلِــكُ هُو الْعَامِــلُ الْوَحِيدُ الْمُؤثِــرُ فِي جَمِيعِ الأَحْــدَاثِ التَّارِيخِيةِ وَبِالتَّالِي نَجِــدُ أَنَّ سِــجلاتِ الْمُلُــوكِ الْقُدَامَى مَا هِــي إِلا تَعْبِيرٌ عَنْ نَظَرِيّــةِ الرَّجُلِ الْعَظِيمِ فِي التَّارِيخِ.



وَالنَّظَرِيَّةُ السِّحْرِيَّةُ تَسْتَبْعِدُ وُجُودَ اللهِ تَعَالَىٰ وَرِسَالاتِهِ فِي تَقَدُّمِ الْحَيَاةِ وَتَعْزُو كُل اِسْتِقْرَارِ وَمَدَنِيَّةِ لِقُدْرَاتِ الأَفْرَادِ الذِّين يَسْتَخْدِمُون السَّحْرَ فِي تَسْخِيرِ الطَّبِيعَةِ، أَويَسْتَخْدِمُون عَبْقَرِيتِهِم فِي سِيَاسَةِ النَّاسِ، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ اللُّجُوءَ لتَفْسِيرِ الْحَضَارَةِ لِاسْتِخْدَامِ أَصْحَابِهَا لِلسِّحْرِ تَفْسِيرٌ بِدَائِيٌ لا يَتَفِقُ مَعَ الْعَلْمِ وَلا الدِّين، فَهَذَا مَا يُسَمِّيهِ عُلَمَاءُ النَّفْسِ التَّفْكِيرَ الْخُرَافِي.

-د. سَيدُ مُبتسِمًا: كَانَ كَهَنَةُ مِصْرَ وَرَاءَ شَائِعَةِ بِنَاءِ الْحَضَارَةِ الْمِصْرِيَّةِ عَنْ طَرِيقِ السِّحْرِ،فَالْكَهَنَةُ لا يَبُوحُون بِأَسْرَارِ الْحَضَارَةِ الْمِصْرِيَّةِ إِلا لِلْمُؤْمِنِين بِعَقِيدَتِهِم؛أَمّا غَيّر الْمُؤمِنِين بِعَقِيدَةِ الْقُدَمَاءِ الْمَصْرِيِين مَثَل هِيرُودُوت وَغَيره مِنْ الأَجَانِبِ فَإِنَّهم كَنَوعٍ مِنْ التَّعْمِيَّةِ يَشِيعُونَ أَنَّ مَا وَصْلُوا إِلِيهِ مِنْ تَقَدُّمِ عِلْمِيّ مُذْهل إِنَّمَا كَانَ عَنْ طَرِيقِ السِّحْرِ لَيسَ إِلا.

وَالْحقيقَةُ أَنَّ السِّحْرَ الذّي اِسْتَخَدَمَهُ الْمَصْرِيُون فِي إِنْشَاءِ حَضَارَتِهم هُو سِحْرُ الْعُلُوم الإِلَهِيةِ التّي أَوحَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ بِهَا إِلَىٰ أَنْبِيائِهِ وَرُسِلِهِ .

وَأَكْمَلَ الأُسْتَاذُ يُونِسُ: نَظَرِيّةُ إِلْيُوتَ سِمِيث، لَقَدْ وَضَعَ إِلْيُوت سِمِيث سِينَارْيُو لِنَشَأَةِ الزِّرَاعَةِ وَالْحَضَارَةِ وَالدِّينِ مُفَاده: أَنَّ الإِنْسَانَ الْبِدَائِيّ فَهِم بِالتِّكْرَارِ أَنَّ الْمَاءَ هُو أَصْلُ الْحَيَويّةِ، وَهُو أَصْلُ النَّبَاتِ؛ فَشَرِعَ يَحْتَجِزُ الْمَاءَ هُنَا وَيَطْلِقُهُ هُنَاكَ. وَيَضْبُطُ الرَّيّ وَهَذه كَانَتْ الْهَنْدَسَةُ الأُولَىٰ.





وَظَهَـرَ عِنْدَئِذٍ التَّخَصْـصُ: مُهَنْدِسُـون يُنَظِّمُون الرَّيّ، وَفَلَكِيُـون يُعَيِّنُون اَلأَوقَـاتِ الزِّرَاعِيِّـةَ، وَهَـؤلاءُ لا يَزْرَعُون وَإِنَّمَـا يَعِيشُـون بِالْفَائِضِ مِنْ الْمَحْصُـولِ، وَهُنَا تَنْشَـأُ الْحِكُومَةُ يَرْأَسُـهَا مُهَنْدِسٌ أَو فَلَكِيٌّ تُنْسَـبُ إِلِيهِ صِفَـاتُ اَلإِلُوهِيَة لأَنَّه يَـدْرِي مَا لا يُدْرِيهِ غَـيّره مِنْ الْهَنْدَسَـةِ أَو الْفُلْك. يَعِيشُ كَأَنّه مَلِك بَلْ هُو مَلِك يُطَاعُ فَإِذَا مَاتَ أَصْبَحَ قَبْره مَعْبَداً.

وَيُفَسْـرُ إِلْيُوت سِـمِيث ظُهُورَ اَلأَفْـكَارِ الدِّينِيةِ وَالدِّينِ فِي مَـصْرَ الْقَدِيمَةِ بِنَشَـأَةِ الْقَرْيَّـةِ فَعَلَى حِينَ كَانَ الرُّحَّـلُ يَتْرُكُون الْمَيتَ مَوضِـعَ مَوتَه فَقَدْ اِسْـتَحَالَ ذَلِك فِي الْقُرَى لأَسْـبَابٍ صِحِيّةٍ وَاقْتِصَادِيَّةٍ فَـكَانَ لابُدَّ مِنْ دَفْنِ الْمَـوتَى بَعِيداً فِي الصَّحْـرَاءِ، وَلَكِنَ الصَّحْـرَاء "فِرِيجِيدِيـر" طَبِيعِيّ مُمْتَاز حِفْظ اَلأَجْسَـامِ فَخُيِّـل لِعَقْلِيَّـةِ الْمِصْرِيِّ الْبَسِـيطِ أَنَّ الْمَيـتَ لَمْ يُمُتْ حَقِيقَةً مَا دَامَ جَسَدُه كَمَا هُو ...

وَمِنْ ثَمَّ اِتَّجَهَ إِلىٰ اَلاهتِمَامِ بِهِ فِي حِياتِهِ اَلأُخْرَىٰ يَضَعُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَاَلأَدَوَاتَ مَعَهُ فِي الْقَبْرِ ، وَذَلَكَ مَعَ التَّحْنِيطِ زِيَادَةً فِي حِفْظِهِ ، وَمَعَ اَلاهْتِمَامِ " بِمَسَاكِنِ " الْمَوْتَىٰ هَذهِ ، كَانَ تَشْيِّيدُ الْمَقَابِرِ التّي تَحَوَّلَتْ إِلىٰ مَصَاطِبَ ثُمَ أَهْرَامِ .. الدِّينِ وَعَقِيدَةِ الْحَيَاةِ اَلأُخْرَىٰ وَحِفْظِ الْمَوتَى إِذَنْ أَدَّت إِلَىٰ دَفْعِ النِّجَارَةِ إِلىٰ (صُنْعِ اَلأَكْفَانِ) وَإِلىٰ فَنِ الْبِنَاءِ (الْمَقَابِرُ بَأَشْكَالِهَا) وَرَبَطُوا بينَ الْفَيضَانِ وَبيَنَ الشَّمْسِ وَالنُّجُومِ ، وَهُنَا سَلَبَتْ الشَّمْسُ اَلأَهْمِيةَ مِنْ الْقَمَرِ الذّي رُبَّمَا كَانُوا يَرْبُطُونَ بَينَهُ وَبيَنَ النَّهْرِ فِي السَّابِقِ مِثْلَمَا سَلَبَتْ مِنْ النَّهْرِ قُدّسِيتَه فِيمَا بَعْد فَأَخَذَتْ عِبَادَةُ الشَّمْسِ وَأَشَعَتُهَا تَحِلُّ مَحَلَ عِبَادَتِه .

- د . سَيدُ : وَهُنَاكَ عِدَةُ أَبْحَاثٍ للْبَاحِثِ السِّويدِي " أرِيك فُون دَانيكِن " أثَارَتْ ضَجَّةً عَالَمِيةً عِنْدَ نَشْرِهَا أَشْهَرُهَا " الْعَودَةُ إِلَىٰ الْكَوَاكِبِ ، وَالْهَابِطُون مِنْ السَّمَاءِ ، وَأَلْغَازُ الْحَضَارَاتِ " لَقَدْ حَاوَلَ فِي تِلْكَ الْبُحُوثِ إِثْبَاتَ أَنَّ جَمِيعَ الْحَضَارَاتِ الْبَشَرِيّة وَمَا يُحِيطُ بِهَا مِنْ اَلْغَازِ هَبَطَ بِهَا كَائِنَاتٌ أَو أَقْوَامٌ مِنْ كَوَاكِبِ أُخْرَىٰ أَرْقَىٰ عَقلاً وَعَبْقَرِيّةً وَمَعْرِفَةً وَحَضَارَةً ، وَأَنَّهم هُم الذّين بَنُوا الْهَرَمَ اَلأَكْبَرَ لِيَكُونَ وَسِيلَةَ اِتّصَالِ بينهم وَبَينَ اَلأَرْضِ، كَمَا وَضَعُوا أُسُسَ الْحَضَارَةِ الْمَصْرِيِّةِ الْقَدِيمَةِ التّي نَشَأَتْ مُتَكَامِلَةً وَمُتَطَوّرَةً بِمَا حَوَتْهُ مِنْ مُعْجِزَاتٍ فِي عُلُومِ : الْفَلَكِ وَالّرِيَاضِيَّاتِ ، وِالطِّبِ ، وَالْهَنْدَسَةِ ، وَالْفُنُونِ وَالكِتَابَةِ" .



وَلَقَـدْ تَوَصَّلَ دَانِيكِـن إِلَىٰ آرَائِهِ بَعْدَ دِرَاسَـةِ الْوَثَائِقِ وَالْمُسْـتَنَدَاتِ التَّارِيخِيَةِ لِقُدَمَاءِ الْمَصْرِيين ، وَبَرْدِيَّاتِ كِتَابِ الْمَوتَىٰ .

وَإِذَا كَانَ الْمُؤرْخُون فَشَـلُوا فِي الاهْتِدَاءِ إِلَىٰ نَشْـأَةِ الْحَضَارَةِ الْمِصْرِيّةِ النَّشْـأَةِ الصِّحِيَّةِ فَإِنَّهم يَـكَادُون يَجْمَعُون عَـلَىٰ أَنْ الْحَضَارَةَ الْمَصْرِيّةَ هِـي أُمْ الْحَضَـارَاتِ وَلَقَدْ اِنْتَـشَرَتْ اَلْحَضَـارَةُ مِنْ مِصْرَ إِلَىٰ سَـائِرِ الْبُلْدَانِ اَلأُخْرَىٰ " إِنَّ اَلاِنْتِشَـارَ الْحَضَارِيَّ مِنْ مِـصْرَ فِي حُدُودٍ إِقْلِيمِيةٍ مُعَينَةٍ هُو حَقِيقَةٌ تَارِيخِيةٌ لا تَقْبَلُ الْجَدَلَ .



قَالَ اَلأُسْتَاذُ يُونِس:وَكَمَا عجَزَ الْمُؤرِخُون الْعَلْمَانِيون عَنْ تَفْسِيرِ نَشْأَةِ الْحَضَارَةِ الْمَصْرِيَّةِ عجَزُوا أَيضاً عَنْ تَفْسِيرِ مَعْرِفَةِ اَلْمَصْرِيينِ الْقُدَمَاءِ فِكْرَةَ الْبَعْثِ وَالْخُلُودِ مُبَكِراً فَقَدْ كَانُوا أَولَ الْمُتَدِينِين .

فَقَدْ رَدَّ الْبَعْضُ فِكْرَةَ الْخُلُودِ إِلَىٰ إِحْسَاسِ الْمَصْرِيين بِبَهْجَةِ الْحَيَاةِ فِي بِيئَتِهم الرَّخِيَّةِ الرَّغْدَةِ وَبِالتَّالِي تَعَلُّقِهم بِهَا إِلَىٰ حَدِّ إِسْقَاطِهَا عَلَىٰ حَيَاةٍ أُخْرَىٰ بَعْدَ الْموتِ ، وَتَمْدِيدِهَا فِيهَا ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ إِعْدَادُهم الْغَرِيبَ لَهَا اِبْتِدَاءً مِنْ التَّحْنِيطِ إِلَىٰ مَرَاكِبِ الشَّمْسِ إِلَىٰ أَثَاثِ الْمَقَابِرِ وَأَطْعِمَتِهَا !

أَمّا " وِلْ دِيورَانْت " فَيفَسِّرُ نَشْأَةَ الدّينِ فَيَقُولُ : " أَدْرَكَ الإِنْسَانُ أَنَّ حَرَارَةَ الشَّمْسِ هِيَ الْعِلَّةُ الرَّئِيسِيَةُ فِيمَا تُدرُّه عَلِيهِ اَلأَرْضُ مِنْ خَيرَاتٍ عِنْدَئِذٍ اِنْقَلَبَتْ اَلأَرْضُ فِي عَينِ الْبِدَائِيين آلِهَةً تُخَصِبُها اَلأَشْعَةُ الْحَارَةُ ، وَعَبَدَ النَّاسُ الشَّمْسَ الْعَظِيمَةَ لأنَّهَا بِمَثَابَةِ الْوَالِد الذِّي نَفَخَ الْحَياةَ فِي كُل شَيءٍ حَيٍّ ، وَمِنْ هَذِهِ الْبَادِيّةِ السَّاذِجةِ هَبَطَتْ عِبَادةٌ إِلَىٰ الْعَقَائِدِ الْوَثَنِيّةِ عِنْدَ اَلأَقْدَمِين وَلَمْ يَكُنْ مُثِيرًا مِنْ اَلآلَهَةِ فِيمَا بَعْدَ سُوىٰ تَشْخِيصٍ لِلشّمْسِ وَتَجْسِيدٍ لَهَا " .





لَـــكِنْ مَا يُؤخَذُ عَلَىٰ الْمُؤرِخِين الْمَصْرِيين - مُسْـــلِمِين وَمَسِيحِيين - حَقّاً هُـــو تَسْـلِيمُهم بِالنّظَرِيّاتِ اَلأجْنَبِيَّةِ فِي نَشْـــأَةِ عَقِيدَةِ الْبَعْـــثِ وَالْخُلُودِ وَغَضِّهم الطَّرْف عَمَّا جَاءَ فِي الْكُتبِ السّماوِيَّة مِنْ عَقَائِد دِينِيةٍ .

قَالَ د. سَـــيدُ : وَمَا يُؤخَـــذُ عَلِيك أَنْتَ أَنَّـــكَ لَمْ تُحَدِثْنَـــا حَتَىٰ الآنَ عَنْ مَوضُوعِ الْمُحَاضَرَةِ الرَّئِيسِي.

- أَنَا عَازِمٌ الآنَ أَنْ أُحَدِثَكم بَعْدَ هَذهِ الْمُقَدمَة .

- لَقَـــدْ طَالَـــتْ مُقَدمَتك حَتَـــىٰ صَـــارَتْ كَمُقَدمَةِ ابْنِ خَلْـــدُون ، وَأَرَىٰ وقَـــدْ مَضَىٰ بِنَا الْوقْـــتُ أَنْ نُرْجِئَ تَفْسِـــيرَكَ الدِّينِي لِلْحَضَـــارَةِ الْمَصْرِيّةِ لِلأُسْبُوعِ الْقَادِمِ إِنْ شَاءَ اللهُ .

